أُعاتِبُ فيكِ اليَعْمَلاتِ[١] على السُّرى وأسألُ عنكِ الرِّيحَ إنْ هي هَبَّتِ
وأُمْسِكُ[٢] أحناءَ الضُّلوعِ على جوًى مُقيمٍ[٣] وصَبْرٍ مستحيلٍ مُشَتَّتِ

فلمَّا انتبهتُ جعلتُ أبحثُ عن قائلها، ومضتْ عِدَّةُ سنين، فاجتمعت بعلي ابن مُسْهِر وحدَّثته بالمنام، فقال: واللهِ إنَّهما لي من أبياتٍ، أَوَّلها:

إذا ما لسانُ الدَّمْع نَمَّ على الهوى فليس بسِرٍّ ما الضُّلُوعُ أَجَنَّتِ
فواللهِ ما أدري عَشِيَّةَ وَدَّعَتْ أناحَتْ حماماتُ اللِّوى أم تَغَنَّتِ
وأَعْجَبُ مِنْ صَبْري القَلُوصُ[٤] التي سَرَتْ بَهْودَجِكِ المَزْموم حين[٥] اسْتَقَلَّتِ
أُعاتِبُ فيكِ اليَعْمَلاتِ على السُّرى[٦] وأَسألُ عنكِ الرِّيحَ إنْ هي هَبَّتِ

فعجبت من هذا الاتِّفاق[٧].

السنة السَّابعة والأربعون وخمس مئة

حكى جدِّي في «المنتظم» عن القاضي أبي العبَّاس ابن المانْدائي الواسطي[٨] قال: في تاسع المحرم[٩] باض ديك [لرجل يعرف بابن عامر بيضة][١٠]، وباض بازيٌّ لعلي ابن حماد بيضتين، وباضت نعامة لا ذكر معها [بيضة][١٠][١١]. [قلت: بيض الديك والنعام معروف، أما البازي فغريب جداً][١٠].

---

(١) اليعملات جمع، مفردها اليعملة: وهي الناقة النجيبة السريعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٢٠٩.

(٢) في «الخريدة»: وأطبق.

(٣) في «الخريدة»: جميع.

(٤) القلوص من الإبل: الشابة حتى تبزل. «معجم متن اللغة»: ٤/ ٦٣٣.

(٥) في «الخريدة»: أنَّى.

(٦) في «الخريدة»: الونى، وفي «وفيات الأعيان»: النوى.

(٧) انظر الخبر في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، وهو ينقله عن السمعاني، وفيه أنه رأى منشداً ينشد هذين البيتين، أحدهما: وأعجب من صبري، والآخر: وأطبق أحناء الضلوع.

(٨) هو أبو العباس أحمد بن بختيار المندائي، ويقال: المانداني، قاضي واسط، توفي سنة (٥٥٢هـ)، وله ست وسبعون سنة، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٧-١٧٨، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٣١٧-٣١٨.

(٩) في (ع) و(ح): فيها قال أبو العباس الواسطي في تاسع المحرم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١١) «المنتظم»: ١٠/ ١٤٦.

وفيها توفي السلطان مسعود، ووصل الخبر إلى بغداد، فقَبَضَ الخليفةُ على جماعةٍ كانوا ينتمون إلى الأعاجم، ويتسمجون في حقِّ الخلافة بما لا يليق [على المنابر وغيرها][(١)] مثل أبي النَّجيب السُّهْرَوَرْدي والحيصَ بيص [الشاعر][(١)]، [وأُهينا][(١)]، فأخرج أبو النَّجيب إلى باب النُّوبي، وضُرِبَ سبع دِرَر، ورُدَّ إلى الحَبْس. وكان في [بعض][(١)] الليالي قد صَعِدَ على سطح النِّظامية وأومى إلى دار الخليفة، وقال: تولي ابن المُرَخِّم على المُسْلمين، ما بايعناك على ذا!

وهرب مسعود البلالي شحنة بغداد إلى تَكْريت، وجلس الوزير في بيت النّوبة لعزاء مسعود.

وأمر الخليفةُ ابنَ النظام بأن يذكر الدَّرْس بالنِّظامية، ويُخْرج مَنْ فيها من الفقهاء أصحابِ أبي النَّجيب، وكانوا يسيئون الأدب، ويستطيلون بالأعاجم.

وبلغ الخليفة أنَّ واسطاً قد عَصَتْ، فخرج إليها بنفسه ووزيره وولي عهده، وسار في [شوال في دَسْتِ الخلافة، ووصل إلى واسط، فأقام بها أياماً، ومضى إلى الحلَّة والكوفة، وهرب مهَلْهِل بن علي، وزار الخليفة المشهدين، وعاد إلى بغداد] [(٢)].

وغلقت بغداد وضربت القِباب، واشتغل النَّاسُ باللَّهْو، وخُطِبَ لولي العهد يوم الجمعة غُرَّة ذي الحِجَّة.

وفي المحرَّم فَتَحَ نورُ الدِّين محمود ـ رحمه الله ـ حصن أَنْطَرْسُوس عَنْوَةً، فطلبوا الأمان على النُّفوس، فأمَّنهم، وملك عِدَّةً من الحصون منها المَرْقَب[(٣)]، وكان على الإسلامِ منه ضررٌ عظيم. وحجَّ بالنَّاس قَيْماز الأُرجُواني.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وسار في أبهة الخلافة، ووصلها، وأقام بها أياماً، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كذا قال، وهو وهم، إذ لم يذكر أحد ممن أرخ لنور الدين أنه استولى على حصن المرقب، والمعروف أنه بقي في يد الفرنج حتى فتحه السلطان سيف الدين قلاوون، سنة (٦٨٤هـ)، انظر «السلوك» للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٧٢٧-٧٢٨.

فصل: وفيها توفي

أُميَّة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت الأَنْدلُسي[١]

نزل الإسكندرية، وكان شاعراً فصيحاً، فاضلاً، صنَّف كتاب «الحديقة»[٢]، ومن شِعْره في الأفضل ابن أمير الجيوش: [من الكامل]

لا غَرْوَ إنْ سَبَقَتْ لُهاكَ[٣] مدائحي ... وتدفَّقَتْ جَدْواك مِلْءَ إنائها
يُكْسى القضيبُ ولم يَحِنْ إثْمارُهُ ... وتُطَوَّقُ الوَرْقاءُ قَبْلَ غِنائها[٤]

وقال: [من الطويل]

إذا كان أَصلي من تُرابٍ فكلُّها ... بلادي وكلُّ العالمينَ أقاربي
ولا بُدَّ لي أَنْ أسأَلَ العِيْسَ حاجةً ... تَشُقُّ على شُمِّ الذُّرى والغوارِبِ[٥][٦]

وقال: [من الطويل]

ورُبَّ قريبِ الدَّارِ أَبْعَدَه القِلى ... ورُبَّ بعيدِ الدَّارِ وهو قريبُ
وما ائْتَلَفَتْ أجسامُ قومٍ تناكرتْ ... على القُرْبِ أرواحٌ لهمْ وقُلُوبُ[٧]

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ١/ ١٨٩-٢٧٠، و«معجم الأدباء»: ٧/ ٥٢-٧٠، و«الكامل»: ١١/ ١٨، و«تاريخ الحكماء»: ٥٧-٥٨، و«طبقات الأطباء»: ٥٠١-٥١٥، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٣-٢٤٧، و«المغرب»: ١/ ٢٦١-٢٦٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣٤-٦٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
وقد اختلف قول العماد في سنة وفاته، فذكر أنه قرأ في آخر «الحديقة» أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من محرم سنة (٥٤٦هـ) ـ وتابعه على ذلك سبط ابن الجوزي ـ وقرأ في موضع آخر أنه توفي سنة (٥٢٩هـ)، وهو الصحيح فيما ذكر ابن خلكان، وأشار إليه السبط آخر الترجمة إلا أنه صدره بصيغة التمريض. وقد ذكر ابن خلكان أن سنة (٥٤٦هـ) هي سنة وفاة ابنه عبد العزيز.

(٢) هو كتاب «الحديقة في المختار من أشعار المحدثين»، وذكره العماد في «الخريدة» وقال: على أسلوب كتاب «اليتيمة»، وقد نقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(٣) اللها جمع، مفردها اللهية واللهوة: العطية، «اللسان» (لها).

(٤) «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٩١.

(٥) الذرى جمع، مفردها ذروة، وهي أعلى سنام البعير. «اللسان» (ذرا)، والغوارب جمع، مفردها غارب، وهو الكاهل: ما بين السنام والعنق، و«اللسان» (غرب).

(٦) «الخريدة»: ١/ ١٩٨، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٤.

(٧) «الخريدة»: ١/ ١٩٨.

وقال: [من الوافر]

أَيُحْيي الدَّهْرُ منِّي ما أماتا ... ويُرْجِعُ مِنْ شبابي ما أفاتا
وما بَلَغَ الفتى الخمسينَ إلا ... ذوى غُصنُ الصِّبا منه فماتا
بكيتُ على الفُرَات غداةَ شَطُّوا ... وظنَّ النَّاسُ مِنْ دمعي الفُراتا
أُسائِلُ عن جُفوني كيفَ أضحتْ ... وعن قَلْبي المُعَنَّى كيفَ باتا
أما لو عادَني لأَعادَ رُوحي ... وأَحْيا أَعْظُمي الرِّمَمَ الرُّفاتا[1]

وقال يمدح يحيى بن تميم بن باديس: [من السريع]

صبٌّ براه السُّقْم بَرْيَ القِداحْ ... يَوَدُّ لو ذاق الرَّدى فاسْتَراحْ
لم يَرِمِ الوَجْدُ حشاه ولا ... خَلَتْ له جارحةٌ من جِراحْ
له إذا آنَسَ بَرْقَ الحِمى ... جوانحُ تَخْفُقُ خَفْقَ الجَنَاحْ
وإنْ شَدَتْ وَرْقاءُ في أيكةٍ ... عاوَدَه ذِكْر حبيبٍ فَنَاحْ
أصبحتُ في حَلْبة أهلِ الهوى ... يَرْكُضُ بي طِرْفٌ[2] شديدُ الجِماحْ
وفي سبيلِ الحُبِّ لي مهجةٌ ... كان لها صَبْرٌ جميلٌ وطاحْ
يا بنَ الملوكِ الصِّيْدِ من حِمْيَرٍ ... ووارثِ المَجْدِ القديم الصُّراحْ
لِيَهْنكَ الجَدُّ الذي نِلْتَهُ ... بالجدِّ من أَمْرِك لا بالمُزاحْ
مَزَجْتَ بالبأسِ النَّدى والتُّقى ... مِلْحٌ أُجاجٌ وزُلال قَرَاحْ
كم مَنْهَلٍ مُطَّرِدٍ بالرَّدى ... في موقف مُشْتَجِرٍ بالرِّماحْ
أَوْرَدْتَه كلّ سليمِ الشَّظى ... مُنَعَّلَةٌ أَرْبَعُهُ بالرِّياحْ
كأَنَّما سُرْبِلَ جُنْح الدُّجى ... وبُرْقِعَتْ غُرَّتُه بالصَّباح[3]

وقال في الشمعة: [من الطويل]

وناحلةٍ صفراءَ لم تَدْرِ ما الهوى ... فتبكي لِهَجْرٍ أو لطول بِعادِ
حكتني نُحولاً واصفراراً وحُرْقَةً ... وفيضَ دموعٍ واتِّصالَ سُهادِ[4]

---

(١) «الخريدة»: ١/١٩٨.
(٢) الطِّرْف، بالكسر ـ من الخيل: الكريم والعتيق. «اللسان» (طرف).
(٣) «الخريدة»: ١/٢٠٨-٢٠٩.
(٤) «الخريدة»: ١/٢١٣.

وقال في الرِّزْق: [من الطويل]

وقائلةٍ سِرْ وابْتَغِ الرِّزْقَ طائفاً ... فإنَّك فيما لا يفيد لطائفُ
فقلتُ دَعيني ربَّ ساعٍ مخيَّبٍ ... وللهِ في كلِّ الأمورِ لطائِفُ[1]

وقال: [من الطويل]

رمَتْني صروفُ الدَّهْرِ بين معاشرٍ ... أصحّهم وُدًّا عدوٌّ مخاتِلُ
وما غُرْبةُ الإنسانِ في بُعدِ داره ... ولكنَّها في قُرْبِ من لا يُشاكِلُ[2]

وقال، وكان قد حُبس: [من الطويل]

ولو لم أكن حُرَّ الخلائقِ ماجداً ... لما كان دَهْري ينطوي بي على ضِغْنِ
وما مَرَّ بي كالسِّجْن فيه مُلِمَّةٌ ... وشَرٌّ من السِّجْن المصاحِبِ في السِّجْنِ
أظنُّ الليالي مُبْقياتي لحالةٍ ... تُبدِّلُ فيها حالتي هذه عنِّي
وإلا فما كانت لتُبْقي حُشاشتي ... على طُول ما ألقى من الذُّلِّ والغَبْنِ
وكم شامِتٍ بي أن حُبِسْتُ وما درى ... بأنَّ حُساماً صِيْنَ حدَّاه بالجَفْنِ
متى صَفَتِ الدُّنيا لحُرٍّ فأبتغي ... بها صَفْوَ عيشٍ أو خُلُوّاً من الحُزْنِ
وهل هي إلا دارُ كلِّ مُلِمَّةٍ ... أَمَضّ لأحشاءِ الكرامِ من الطَّعْنِ[3]

وأحسن ما قال: [من الطويل]

سَكَنْتُكِ يا دارَ الفَناءِ مُصَدِّقاً ... بأنِّيَ في دارِ البقاءِ أصيرُ
وأَعْظَمُ ما في الأَمْرِ أنِّيَ صائِرٌ ... إلى عادلٍ في الحُكْمِ ليس يجورُ
فيا ليتَ شِعْري كيفَ ألقاه بعدها ... وزادي قليلٌ والذُّنوب كثيرُ
فإنْ أكُ مَجْزِيًّا بذنبي فإنَّني ... بحَرِّ عذابِ المُذْنبين جديرُ
وإن يكُ عفوٌ ثُمَّ فَضْلٌ ورحمةٌ ... فَثَمَّ نعيمٌ دائمٌ وسرورُ[4]

توفي في سنة ست وأربعين، وقيل: سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة.

---

(١) «الخريدة»: ١/ ٢٣٩.

(٢) «الخريدة»: ١/ ٢٤٨.

(٣) «الخريدة»: ١/ ٢٥٥.

(٤) «طبقات الأطباء»: ٥٠٣-٥٠٤، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٦.

حَيْدر بن محمد بن الحسن، أبو الرِّضا العَلَوي[١]

من أعيان العلماء، وأكابرِ الفُضَلاء، عاش تسعين سنة، وكان أشعرَ أهلِ زمانه، فحاز على شعره بألف دينار، ومن شعره: [من السريع]

ليتَ نسيماً رَقَّ قد رَقَّ لي ... ممَّا بقلبي الهائمِ المُغْرَمِ
فأخبرَ الظَّاعِنَ عن قاطنٍ ... وبلَّغَ المُنْجِدَ عن مُتْهِمِ
لا خَضِلَتْ أَرْدانُه سُحْرةً ... مِنْ سَيْبِ وادٍ مُتْرَعٍ مُفْعَمِ
ولا هفا وَهْناً على زَهْرَةٍ ... أَوْ أُقحوانٍ طَيِّبِ المَنْسَمِ
إنْ لم يُبَلِّغْ سَهَرِي مُسْهِري ... أَوْ لم يَصِفْ سُقْميَ للمُسْقِمِ

محمد بن نَصر، أبو عبد الله، العَكَّاوي[٢]

ويقال له ابن صغير، القَيْسراني الشَّاعر [ذكره الحافظ ابن عساكر، والعماد الكاتب في «الخريدة»، وأبو سَعد بن السَّمْعاني في «الذَّيل»][٣].

ولد بعكا [في][٣] سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، ونشأ بقَيْسارية السَّاحل [فلذلك تسمَّى بها][٣]، ولما استولتِ الفرنج على السَّاحل انتقل إلى حلب ثم [أتى][٣] إلى دمشق [فأخذ الأدب عن توفيق بن محمد][٤].

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٣٠-٢٣١ ، وفيه وفاته سنة (٥٤٨هـ).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ ، و«الأنساب»: ١٠/ ٢٩١ ، و«التحبير»: ٢/ ٢٤٢-٢٤٤ ، «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧-٤٨ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٩٦-١٦٠ ، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٦٤-٨١ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٣ - وقد أورد له أبو شامة مقطعات طويلة من شعره - و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٥٨-٤٦١ ، و«تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ٢٤١-٢٤٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ١١٢-١٢١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٢٤-٢٢٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته. ووفاته على الصحيح سنة (٥٤٨هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو توفيق بن محمد بن الحسين ابن زريق الاطرابلسي الدمشقي، كان شاعراً نحوياً، وله معرفة بالحساب والهندسة، توفي سنة (٥١٦هـ) بدمشق، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣/ ٥٥٥-٥٥٦، و«معجم الأدباء»: ٧/ ١٣٨-١٣٩ ، و«إنباه الرواة»: ١/ ٢٥٨ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٤٤٨-٤٤٩ ، و«فوات الوفيات»: ١/ ٢٦٥-٢٦٦ .

قال الحافظ ابن عساكر: كان ابن القيسراني يتولى][1] عمل السَّاعات التي عند باب جيرون [على][1] الدَّرج، وبلغ شمس الملوك أنه هجاه، فتنكَّر له، فهرب إلى حلب[2].

ومدح نور الدين محمود، وجمال الدين الوزير [الموصلي][1] ومجير الدِّين أبق وغيرهم [من الأعيان وغير الأعيان][1]، وديوانه مشهور، وعاد إلى دمشق، فتوفي بها في صفر، ودفن بباب الفراديس.

وقال ابن القلانسي: وصل الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن صغير القَيْسراني الشَّاعر من حلب [يوم الأحد الثَّاني عشرة من شعبان سنة][3] ثمانٍ وأربعين وخمس مئة إلى دمشق، فاستدعاه[4] مجير الدِّين، فحضر مجلسه، وأنشده قصيدةً حسنة [مقيدة، فأجازه][1]، ووصله أحسنَ صِلة، واتفق له حُمَّى حادَّة، وتبعها إسهالٌ مُفْرط، فقضى نحبه يوم الأربعاء الثَّاني والعشرين من شعبان [هذه السنة، وكان أديباً، فاضلاً، شاعراً، مترسلاً، بليغ النَّظْم، مليح المعاني، وله يد قوية في علم النُّجوم والأحكام وحفظ التواريخ، وكان بينه وبين أبي الحسين أحمد بن منير مشاحناتٌ على قديم الزَّمان، فماتا على ذلك، وبينهما في الوفاة مدة يسيرة][5].

ومن شعره يمدح الوزير جمال الدِّين محمد المَوْصِلي: [من الكامل]

ليتَ القلوبَ على نظامٍ واحدِ ... ليذُوقَ حَرَّ الوَجْدِ غيرُ الواجِدِ

ما زالَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَقْصِدُ هِمَّتي ... حتى صَرَفْتُ إلى الكِرامِ مقاصدِي

وإذا الوفودُ إلى الملوك تبادَرَتْ ... فعلى جمالِ الدِّين وَفْدُ محامِدِي

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧ .

(٣) في (ع) و(ح): من حلب في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة إلى دمشق يوم الأحد الثاني عشر من شعبان. والعبارة مضطربة قومناها من «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ .

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ باستدعاء مجير الدين له.

(٥) ما بين حاصرتين من(م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ .

يَلْقاكَ في شَرَفِ العُلا متواضعاً ... حتى يُرى المقصودُ مِثْل القَاصِدِ
أُمْنِيَّةٌ للمُعْتفي ومَنِيَّةٌ ... للمُعْتَدِي وشريعةٌ للوارِدِ
لا تَحْسِبُوا أَنِّي انفَرَدْتُ بحَمْدِهِ ... هيهاتَ كم لمحمَّدٍ مِنْ حامِدِ
مَجْدٌ على عرش السِّماكِ وهِمَّةٌ ... ترقى السُّها بجناحِ جَدٍّ صاعِدِ
أنا روضةٌ تُزْهى بكلِّ عجيبةٍ ... أفرائدي من لم يَفُزْ بفرائدي؟
إنْ ساقني طَلَبُ الغِنى أو شاقني ... حُبُّ العُلا فلقد وَرَدْتُ موارِدِي
ومتى عددتُ إلى نَدَاك وسائلي ... أَعدَدْتُ قَصدي من أَجَلِّ قصائِدِي
حتى أعودَ من امتداحك حالياً ... وكأَنَّني قُلِّدْتُ بعضَ قلائدي
ما كانت الأيامُ تُخْلِفُ مَوْعِدِي ... أبداً وحُسْنُ الظَّنِّ عندك رائدي[1]

وقال أيضاً من شعره: [من المديد]

مَنْ لقلبٍ يألَفُ الفِكَرا ... أو لعينٍ ما تذوقُ كَرَى
ولصَبٍّ بالغَرَامِ قضى ... ما قضى في حُبِّكُمْ وطَرَا
وَيْحَ قَلْبي من هوى قَمَرٍ ... أنكرتْ عَيْني له القَمَرا[2]

وقال يمدح بني الصُّوفي [وقد بنوا] بَهواً وبِرْكةً فيها شاذِرْوان[3]: [من المديد]

يا بنيّ الصُّوفي زرْتُكُمُ ... طائفاً بالبيتِ مُعْتَكِفا
فرأيتُ الغيثَ مُغْترفاً ... مِنْ أياديكُمْ ومُعْترفا
من رأى أخلاقَكُمْ أَنفا ... أنْ يَرُوْدَ الرَّوْضةَ الأُنُفا
ذاتُ بَهْوٍ مَنْ ألمَّ بها ... وصفَا تَحْبيرُهُ وَصَفا
عاقِد في الجوِّ منطقَه ... لا يرى طَرْفٌ لها طَرَفا

(١) انظر القصيدة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٠٣-١٠٦ .
(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧ .
(٣) الشاذروان: هو ما ترك من عرض الأساس في البناء خارجاً، ويسمى التأزير. انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٢٩٤ ، و«شفاء الغليل»: ١٦٣ ،وما بين حاصرتين زيادة من عندنا لتستقيم العبارة.

طـال إشـرافـاً فـحـيـن سـمـا تـوَّجُـوهـا مـا بـه شَـرُفـا
مـن أنـابـيـبَ تـمـيـسُ إذا طَـيْـرُ شـاذِرْوَانـهـا هَـتَـفـا
مُـغْـرَمٌ بـالـبَـهْـوِ فَـهْـو مـتـى هَـفَّ مِـنْ شـوقٍ إلـيـه هـفـا

وقال: [من الطويل]

ولـي زَفَـرَاتٌ تَـسْـتَـهِـلُّ صـبـابـةً عـلـيـكُـمْ إذا بَـرْقُ الـعـقـيـقِ تـأَلَّـقـا
أَلِفْتُ الهوى حتى حَلَتْ لي صروفُهُ ورُبَّ نـعـيـمٍ كـان جـالـبَـه شـقـا
ألـذُّ بـمـا أشـكـوه مِـنْ ألـمِ الـجـوى وأَفْـرَقُ إنْ قـلـبـي مـن الـوَجْـدِ أفـرقـا
وأذْهَـلُ حتى أَحْسِبُ الصَّدَّ والجفا بـمُـعْـتَـرَكِ الـذِّكـرى وِصـالاً ومُـلْـتـقـى
فـهـا أنـا ذو حـالَـيْـنِ أمـا تَـصَـبُّـري فـحـيٌّ وأمـا سَـلْـوتـي فـلـكَ الـبـقـا[1]

وقال في دمشق: [من البسيط]

أرضٌ تُحاكي الأماني مِنْ محاسنِها بـحـيـثُ تَـجْـتَـمِـعُ الـدُّنـيـا وتَـفْـتَـرِقُ
إذا شدا الطَّيْرُ في أغصانِها وَقَفَتْ عـلـى حـدائـقـهـا الأسـمـاعُ والـحَـدَقُ

وقال: [من البسيط]

يـا أهـلَ بـابـلَ أنـتـمْ أَصـلُ بِـلْـبـالـي رُدُّوا فـؤادي عـلـى جُـثْـمـانـيَ الـبـالـي
لا، واعـتـنـاقِ هـواكُـمْ بـعـد فُـرْقـتِـكُـمْ مـا كـان صَـرْفُ الـنَّـوى منكُمْ على بالي
وإنَّـمـا اعـتـرضَـتْ بـيـنـي وبـيـنـكُـمُ نـوائـبٌ أَرْخَـصَـتْ مـن دَمْـعـيَ الـغـالـي
لـولا مـكـانُ هـواكُـمْ مِـنْ مـحـافـظـتـي لـمـا صـرفْـتُ إلـيـكُـمْ وَجْـه آمـالـي
سَـلَـوْتُ عـن غـيـركُـمْ لَـمَّـا عَـلِـقْـتُ بـكـم وَجْـداً أَلا فـاعْـجـبـوا لـلـعـاشـقِ الـسَّـالـي
فـانْـظُـرْ إلـى عَـبَـراتـي بَـعـدَ بُـعـدِهـمُ إنْ أنـتَ لـم تـرَ حـالـي بـعـد تـرحـالـي
أقـول لـلائـمِ الـمُـهْـدِي مـلامـتَـهُ ضـلالـةُ الـقَـلْـبِ فـي أكـنـاف ذي ضـال
دَعْـنـي أَفُـضَّ شـؤونـي مِـنْ مـعـالـمـهـا فـالـدَّمْـعُ دمـعـيَ والأطـلالُ أطـلالـي[2]

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٢٥.
(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٣٤-١٣٥.

وقال أيضاً من شعره: [من الرمل]

وبأكنافِ المُصَلَّى جِيْرةٌ ... لا يُجيرونَ مُحبّاً من غَرَامْ
شغلوا كلَّ فؤادي بهوًى ... وأمالوا كلَّ سَمْعٍ عن سلامْ
ما عليهمْ لو أباحوا في الهوى ... ما عليهم من صفاتِ المُسْتَهامْ

وقال في وصف مغني: [من البسيط]

والله لو أنصفَ الفِتْيان أَنْفُسَهُمْ ... أعطوكَ ما ادَّخروا منها وما صانوا
ما أنتَ حين تغنِّي في مجالسهم ... إلاّ نسيمُ الصَّبا والقومُ أغصانُ[1]

وولده الموفق[2] فاقَ أبناءَ جنسه في حُسْن الخَطِّ، وتقلَّد ديوان الاستيفاء[3] لنور الدين محمود بن زَنْكي، وتقدَّم عنده تقدُّماً زائداً بحيث فوَّض أموره إليه، وكان يقف ببابه بعضُ ممدوحي أبيه، ويسترفدونه، فيستحي، فَيَتَّبِعُ شِعْرَ أبيه الذي في أيدي النَّاس، واجتهد أنْ يُسْقطَ منه المدائح، فلم يقدر لانتشاره، وَمَدَحُه الحسين بن عبد الله بن رواحة[4]، فقال: [من الطويل]

دَعَوْتُك مُشْتاقاً لنَيْلِ صَنيْعةٍ ... فكنتَ إلى بَذْلِ الصَّنائعِ أَشْوقا
وكم عُقَدٍ حُلَّتْ بعَزْمِك لم تكنْ ... تُحَلُّ بعَزْمٍ من سِواكَ ولا رُقى
تفاءَلَ نورُ الدِّينِ باسْمِك مِثْلما ... هوى منكَ نَعْتاً في الأُمور مُحَقَّقا
فأصبحَ نورُ الدِّين في المُلْكِ خالداً ... كما كان في الرَّأي السَّعيدِ مُوَفَّقا[5]

---

(١) «الخريدة»: ١/ ١١٩.

(٢) له ترجمة في «بغية الطلب»: ٧/ ٣٠٩٦-٣١٠١، و«العبر»للذهبي: ٤/ ٢٦٦، و«تكملة إكمال الإكمال»: ٢٤٤-٢٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٨٢-٢٨٣، وقد ساق أبو شامة في «كتاب الروضتين» بعض أخباره مع نور الدين، وقد توفي سنة (٥٨٨هـ).

(٣) في (ع) ديوان الإنشاء، وفي (ح) ديوان الاستيفاء، وفي «بغية الطلب»: ٧/ ٣٠٩٦: جمع في ولايته بين الإنشاء والاستيفاء.

(٤) شاعر فقيه، ولد بحماة سنة (٥١٥هـ)، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وسمع فيها من ابن عساكر، ثم رحل إلى مصر، وأثناء عودته منها أسره نورمان صقلية، وبقي في أسرهم مدة، ثم عاد إلى حماة، ثم سافر إلى مصر، وأقام بها في ظل صلاح الدين، وقد استشهد في سهل عكا سنة (٥٨٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٩٧، وذكرت ثمة مصادر ترجمته.

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٨٥-٤٨٦.

[فصل: وفيها توفي][1]

السُّلْطان مسعود بن محمد بن ملك شاه[2]

[كما ذكرنا، وقد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، و][1] لم ير أحدٌ ما رأى من الملوك والسَّلاطين، فلما كان في هذه السنة مَرِضَ على هَمَذَان بأمراضٍ حادَّة، وعَسُرَتْ مداواتُه، فتوفي [في][1] سلْخ جُمادى الآخرة، وكانت أيامُه نيفاً وثلاثين سنة، وسمع الحديث [من أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيره][1].

ولما مات اجتمعَ رأي الأُمراء على تقرير ملك شاه بن محمود بن محمد ابن أخي مسعود، وكان مقدَّمُ العساكر والمشارُ إليه خاصبك بن البلنكري، فأجلسوا ملك شاه ثلاثة أشهر، وقيل: خمسة، ثم عَنَّ لخاصبك أن يقبضَ عليه وعلى أخيه محمد بن محمود، وينفرد بالمُلْك لبُعدِ سنجر عنه، فقال لملك شاه: إني أُريد المُلْك لكَ من غيرِ منازع، وأخوك ينازِعُك، والمصلحة أنَّني أقبض عليك وأكتبُ إلى أخيك، فإذا وصل قَبَضْتُ عليه، وسَلَّمْتُه إليك. فقال: افعل. فَقَبَضَ عليه، وكتَبَ إلى محمد وهو بخُوزِسْتان يدعوه إلى السَّلْطنة، فجاء إلى هَمَذَان، فجلس على التَّخْت، ودَخَلَ النَّاسُ يهنّئونه، ويخاطبونه في أشياء، فقال: مالي في هذا الأمر شيء، حديثكم مع الأمير خاصبك، فهو الوالد، والكلُّ تحت يده. وقدَّم له خاصبك من المال والخيل والمماليك والخدم والجواهر شيئاً كثيراً، وأقام بهَمَذَان أياماً، وبلغه ما في نَفْسِ خاصبك من التَّدْبير عليه، فاستدعاه وزَنْكي الخازْندار[3]، وشملة التُّرْكماني وهو في أعلى قصر المملكة، فلما صَعِدوا دَرَجَ القَصر أحسَّ شملة بالشَّرِّ، فقال لخاصبك: ارجع، فما هذه علامةُ خير. فلم يرجع، فلمَّا حَصَلوا في بعضِ مضايق القَصر أخذتْهم السُّيوف،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٥١ ، و«مختصر دولة آل سلجوق»: ١٥٢ و١٦١ و١٩٦و٢٠٨، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٦٠-١٦٣ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٨٦-٢٨٧ ، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٠٠-٢٠٢ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٢٧-١٢٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٨٤-٣٨٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع) و(ح)، ومثله في «المنتظم»، وفي «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٢، و«الكامل»: ١١/ ١٦٢ الجاندار، وهو الصحيح.

فَقُتِل خاصبك والخازْندار وهَرَبَ شملة، فلم يقدروا عليه، ورمى برأسيهما، وأكلتِ الكلابُ لحومَهما، واستولى محمدٌ على أموالهما وأسبابهما ومماليكهما، وكان فيما أُخذ من خاصبك ألف ألف دينار وسبعون ألف ثوبٍ من الأطلس، وثلاث مئة مملوك، وخمس مئة فرس، ومن البخاتي والخِيَم مالا يُحَدُّ ولا يُحصى، ومع هذا جَبُوا له مِنَ العَسْكر كفناً كفَّنوا به ما بقي من جُثَّته من فَضْلةِ الكلاب.

وخاصبك أصله تُرْكماني، كان صبيًّا أمردَ، فأحبَّه مسعود حُبّاً شديداً، وقدَّمه على أُمرائه، فاستولى على المملكة.

ثم إنَّ محمداً بعث بالرأسين إلى أتابك إيلدكز صاحب أَذْرَبيجان، وإلى آق سُنْقُر صاحب مراغَة، فارتاعا، ونفرا من محمد، وبعثا إليه يوبِّخانه ويقولان: إذا كنتَ غَدَرْتَ بمن أَحْسَنَ إليك وملَّكك، فكيف يثقُ بكَ غيره؟ ثم بعثا رسولاً إلى سليمان شاه ابن محمد[1]، وكان بزَنْجان، وحلفا له وحَلَفَ لهما، وساروا جميعاً إلى هَمَذان، فهرب محمدٌ إلى أصبهان، فأجلسوا سليمان شاه على تَخْت المُلْك، فأخذ في اللَّهْو والشُّرْب، وساعده وزيرُه فخر المُلْك أبو طاهر القاشاني، وفعل كفِعْله، فضاعت المملكة بينهما، وقَبُحَتِ السِّيرة، وندم إيلدكز وآق سُنْقُر حيث كاتباه وملَّكاه، وشَرَعا في القَبْض عليه وعلى وزيره، فلم يتمكَّنا من ذلك في هذه السَّنة.

المُظَفَّر بن أَرْدَشير[2]

أبو منصور بن العَبَّادِي الواعظ.

ولد سنة إحدى وتسعين وأربع مئة، وسمع الحديث، وقَدِمَ بغداد، ووعظ بجامع القَصر والنِّظامية، وكان فصيحاً بليغاً، وترسَّل بين السُّلْطان والخليفة، فتقدَّم الخليفةُ إليه أن يُصلح بين ملك شاه بن محمود بن محمد وبين بَدْر الحُوَيزي، فمضى وأصلح

(١) في (ع) و(ح)، محمود، والمثبت من «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٤، و«الكامل»: ١١/ ١٨٠، و«معجم الأنساب» لزامباور: ٣٣٤.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٨/ ٣٣٧-٣٣٨، و«المنتظم»: ١٠/ ١٥٠-١٥١، و«الكامل»: ١١/ ١٥٧ ـ وفيه وفاته سنة (٥٤٦هـ) ـ و«اللباب»: ٢/ ٣١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣١-٢٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

بينهما، وحصل له منهما مالٌ كثير، وتوفي بالحُوَيْزة[1]، وقيل: بعَسْكر مُكْرَم في ربيع الآخر، ثم حُمِلَ تابوته إلى بغداد، فدفن في دَكَّةِ الجُنَيْد بالشُّونيزِيَّة، ورجع مالُهُ إلى السُّلْطان؛ لأَنَّه خَلَّف ولداً صغيراً، فمات الولد، ولم يكن له وارث.

جلس المُظَفَّر يوماً في جامع القَصر، فوقع مطر، فلجأَ الجماعةُ إلى ظِلِّ العقود والجُدْران، فقال: لا تفرُّوا من رِشاشِ ماءِ رحمةٍ قُطِرَ عن مَتْنِ سحابِ نِعْمة، ولكن فرُّوا من شَرارِ اقْتُدِحَتْ من زِناد الغَضَب.

وقام إليه شاعِرٌ يمدحه، فقال له: اجلس. فقال: قد كان حَسَّان يمدح رسولَ الله ﷺ في المسجد. فقال المُظَفَّر: ما كان حَسَّان مستبيحاً عِرْضاً ولا مُسْتميحاً عَرَضاً.

وقيل له: لِمَ آمن موسى عليه السَّلام وكفر فِرْعون، وكلاهما ارتضعا من دِرَّة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2]؟ فقال: لأَنَّ موسى فاء، وفرعون قاء.

السنة الثامنة والأربعون وخمس مئة

فيها انحلَّ أمر بني سَلْجوق باستيلاءِ الغُزِّ على سنجر.

ذكر السبب: لما التقى خاقان ملك التُّرْك وخُوارَزْم شاه والغُزّ بسنجر وكسروه، وعاد خاقان إلى بلاده وخوارزم شاه إلى خُوارَزْم نَزَلَ الغُزُّ بنواحي جَيْحُون وسَمَرْقَنْد بين التُّرْك وأعمال خوارزم آمنين، وبقي في قَلْب سنجر ما جرى عليه منهم، فالأمر بينهم موقوف، وقد صالَحَ خُوارَزْم شاه، فجهَّز سنجر إلى الغُزِّ العساكر مع الأمير قماج، فبيَّتهم، وجاءهم على غِرَّةٍ، فكسروه، وقَتلوا ولده، وغَنِموا ما كان معه، فعاد إلى سنجر مهزوماً، ثم ورد جماعةٌ من شيوخهم على سنجر، وقالوا: قد بعثتَ إلينا مرَّتين، ونَصَرَنا الله عليك، والبغي مَصرعك، ونسأَلُك إهدارَ ما جرى ونكون في

---

(١) موضع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح. «معجم البلدان»: ٢/ ٣٢٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٢، قلت: وهذا التعليل ليس بشيء.